

ظهور التمدن بالحدود الجزائرية-المالية:

حالة مدينة برج باجي مختار

أحمد مختار لنصاري¹، سيد أحمد بلال²

¹ باحث في الدكتوراه، مخبر المجال الجغرافي والتهيئة الإقليمية (EGEAT)، جامعة وهران²، الجزائر
² بروفيسور، رئيس فريق مخبر المجال الجغرافي والتهيئة الإقليمية (EGEAT)، جامعة وهران²، الجزائر

تاريخ النشر: 2018/06/30

تاريخ القبول: 2018/06/06

تاريخ الإرسال: 2018/04/18

الملخص:

يتناول المقال التالي وضع مدينة برج باجي مختار الحدودية كمجمع حضري حديث مع نمو ديموغرافي سريع ، ناتج عن استقرار سكان البدو بفضل توافر الأمن وبرامج تنمية الجنوب من خلال خطط الجزائر للتنمية المحلية. حيث تشهد المدينة اقتصاديا ديناميكية حضرية مهمة في السنوات الأخيرة، على أساس التجارة عبر الحدود والرعي. وقد أدى هذا النمو السكاني إلى توسع عشوائي للأحياء الفوضوية بسبب التأخر في إنجاز مشاريع الإسكان الريفي والاجتماعي من ناحية وتدفق المهاجرين غير الشرعيين من جهة أخرى. تعتبر الوظائف التجارية والإدارية أهم العوامل في جذب سكان المدن الشمالية، وهذا أيضا بسبب ضعف المستوى التعليمي خلال التسعينات.

الكلمات المفتاحية: المدينة؛ التعمير؛ التجارة؛ الهجرة؛ الحدود.

Summary:

The following essay deals with the state of the border town of Bordj Badji Mokhtar as a modern urban complex with rapid demographic growth, resulting from the stability of the nomadic population, thanks to the availability of security and programs for the development of the South through the local development plans of Algeria. The city is witnessing a significant dynamic urbanization in the recent years, based on cross-border trade and pastoralism in its economy. This growth of population caused a random expansion of chaotic neighborhoods due to the delay in the completion of rural and social housing projects on the one hand and the influx of illegal immigrants from the other. Trade and administrative functions are the most important factors in attracting the inhabitants of northern cities and that is due also to the poor educational level during the 1990s.

Keywords: City ; Urbanization ; Commerce ; Immigration ; borders.

مقدمة

بعدما كانت الصحراء فضاء جغرافياً وبحراً متوسطاً آخر، تعبره قوافل التبادلات التجارية والثقافية بين الحواضر الجنوبية والشمالية، صارت نطاقاً موزعاً بين الوحدات السياسية لشمال إفريقيا ودول الساحل. بعد ترسيم الحدود أخذت ديناميكية التبادل السوسيو اقتصادي جانباً أكثر تنظيماً، وظهرت مراكز حياة على معابر الحدود وعلى الطرق الرئيسية¹. في ظل هذه التحولات الاجتماعية والإقتصادية زاد النمو الديمغرافي بالمنطقة الحدودية لأقصى الجنوب الجزائري، وزادت مؤشرات التمدن والتحضر بعد استقطاب هذه المناطق للسكان من جميع النواحي، حيث استقر سكان البوادي طلباً للخدمات العمومية من تعليم، صحة، سكن، ماء، كهرباء وغاز، كما توافدت الإطارات من مختلف القطاعات سعياً وراء الوظائف الإدارية، التجارية والخدماتية بالمناطق الحدودية.

برج باجي مختار (إن أدق) مدينة حدودية بأقصى الجنوب الجزائري (ولاية أدرار)، كانت في السابق من بين المناطق الصحراوية التي تتميز بقلّة سكانها، حينما كانت الصحراء الجزائرية بالجنوب الكبير مجال قليل التمدن إلا ما يتواجد بالواحات والمراكز العسكرية الحدودية². وسرعان ما نمت برج باجي مختار بفعل النمو الديمغرافي المتسارع³، الذي لعب فيها موقعها الحدودي الإستراتيجي دوراً بارزاً في التبادلات التجارية وحركات الهجرة⁴.

فماهي المراحل التي مرت بها الحدود الجزائرية-المالية؟ وماهي الظروف والعوامل التي أدت بظهور التمدن والتحضر بهذه الحدود؟
- الهدف من الدراسة:

نهدف من هذا المقال إلى كشف الغطاء عن تاريخ ترسيم الحدود الجزائرية-المالية، والظروف المرافقة لعملية فرض الحدود الدولية بأقاليم إجتماعية ثقافية كأقاليم التوارق بأقصى الجنوب الجزائري، إذ يتميز التوارق بطبيعتهم البدوية في حب حرية

¹ - Cote M., 2012: *Signatures sahariennes, Territoire vue du ciel*, PUP-Aix-Marseille Université, p41.

² - Bisson Jean 2003: *Le Sahara ; mythes et réalités d'un désert convoité*, l'Harmattan. Paris, p342.

³ - لنصاري أحمد مختار 2014: الديناميكية الحضرية لمدينة حدودية حالة برج باجي مختار ولاية أدرار، ماستر في الجغرافيا جامعة وهران. ص28.

⁴ - Scheele Judith, 2012: *Smugglers and Saints of the Sahara, Regional connectivity in the twentieth century*, Cambridge university press, p9.

التنقل بين أقاليمهم الجغرافية. ثم محاولة تشخيص العوامل المستقطبة للإستقرار بـرج باجي مختار، وجسّ نبض تأثير الحدود والتبادلات السوسيو اقتصادية على السكان وعلى استراتيجيتهم في استغلال الحدود من جهة، واستراتيجية الدولة من خلال برامج التهيئة والتنمية المحلية بهذه المناطق الحساسة من جهة أخرى. فقد سطرت الجزائر مؤخراً خطاً خاصاً بالمناطق الحدودية ضمن سياسة التهيئة القطرية لتعزيز العلاقة بين السلطة والسكان بالنسبة للشأن الداخلي، كما شاركت في مخططات إقليمية وعالمية لمكافحة الممارسات غير الشرعية العابرة للحدود.

- المنهجية المتبعة:

سلطنا في هذا المقال حسب مقتضى السرد الموضوعي المنهج التحليلي الإستقرائي بعد الإطلاع على عدة مصادر تاريخية وأعمال لباحثين في ميادين الجغرافية، الأنثروبولوجية والعلوم السياسية. ثم اعتمدنا على منهجي الوصف والمقارنة فيما يخص النتائج الإحصائية بعد التحقيقات الميدانية على مستوى مدينة برج باجي مختار، وجاء تقسيم البحث على المنوال التالي:

- مراحل ترسيم الحدود الجزائرية-المالية.
- الظروف والعوامل الداخلية والخارجية المستقطبة للتمدن في برج باجي مختار.
- مؤشرات الديناميكية الديمغرافية وتسارع النمو السكاني.
- مؤشرات الديناميكية العمرانية وبرامج التهيئة والتنمية.
- جهود الدولة في تعزيز العلاقة بين السكان المحليين والحكومة.

1- مراحل ترسيم الحدود الجزائرية-المالية: من الاستعمار إلى الترسيم الدولي:

ظهرت فكرة الحدود السياسية بفرنسا منذ القرن الثامن عشر (18)، وجسدتها في مستعمراتها الإفريقية منذ منتصف القرن التاسع عشر (19) عن طريق فرض حدود وإنشاء وحدات سياسية معلومة الحدود الجغرافية¹. ساهمت هذه الفكرة في توزيع المهام الإدارية بين القادة الفرنسيين الذين حكموا هذه الوحدات، كما ساهمت في تنظيم توزيع الثروات والشعوب على أراضي الدول المستحدثة. وتمر عملية رسم الحدود بعدة عوامل أهمها عامل القوة والسيادة ثم تأتي عوامل أخرى طبيعية، قومية،

¹ Cornevin Robert, 1981: *Questions nationales et frontières coloniales*, Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 68, n°250-253, Etat et société en Afrique Noire. pp. 251-262.

تعاقدية وهندسية ويتم تشريعها عن طريق معاهدة بين الطرفين (وحدتين سياسيتين) المراد الفصل بينهما¹.

جاءت فكرة إنشاء الحدود الجنوبية إبان فترة الحكم الفرنسي لفصل المستعمرات الشمالية-خاصة الجزائر-عن مستعمرات غرب إفريقيا والتي كانت تحت مسمى السودان الفرنسي (AOF: Ouest africain Française)، وكان لانهزام توارق الأهقار في معركة نيت 1902 دور كبير في وصول المستعمر لمناطق التوارق بالجنوب². وكانت شعوب التوارق في أقاليم الأجر، الأهقار، الأير والأداغ تمثل كيانا عرقيا موحدًا أمام الحملات الفرنسية في الصحراء³. بعد رؤية المستعمر الفرنسي لهذا التماسك الإجتماعي قام بفصل مبدئي بين القبائل الشمالية والجنوبية في مناطق الرعي بتيماوين، إن زيزا، تيززواتين، وتين ميساو في 18 أفريل 1904⁴. ثم قامت حكومة فرنسا آنذاك في كل من الجزائر وغرب إفريقيا الفرنسية (AOF) بأول اتفاق رسمي في 07 جوان 1905 لترسيم الحدود الجزائرية-السودانية (AOF)، وذلك من طرف القائد لابيرين (Laperrine) من جانب الجزائر والقائد فينيل (Venel) من طرف السودان الفرنسي. بعدها قاما بتعديل على اتفاقية 1905 عن طريق معاهدة نيامي في 20 جوان 1909⁵، التي ورد فيها تمسك الطرف الجزائري بأقاليم أهقار، أزجر، وتنزروفت (أدرارن'الجزائر) مع بقاء أدرارن'ايفوغاس في الجهة السودانية (AOF)⁶. ثم جرى تعديل آخر طفيف سنة 1913 نص على بقاء المناطق الرعوية الشمالية لأقاليم أدرارن'ايفوغاس في الجهة الجزائرية نتيجة لضرورة أبارها لقبائل توارق المنطقة الشمالية خاصة في إن غزام، تيززواتين، تيمياوين وإن أدق (برج باجي مختار) فكانت هذه الخطوة آخر ما قام به المستعمر في تحديد معالم الحدود بين الجزائر، والنيجر، ومالي، وموريتانيا⁷.

¹ ماهر حمدي عيش، 2005: الجغرافية السياسية، دار الوثائق، شبين الكوم، مصر، ص 87.

² Dayak Mano, 1992: Touareg la tragédie, Jean-Claude Lattés, p35.

³ Dida Badi, 2010: Les relations des Touaregs aux Etats, IFRI, France, p5.

⁴ Bellil Rachid 2008: Mutation Touaregs, SNRPAH, Alger-p87.

⁵ Kouzmine Yaël et al, 2009: Étapes de la structuration d'un désert ; l'espace saharien algérien entre convoitises économiques, projets politiques et aménagement du territoire, Annales de géographie, n° 670, p. 659-685.

⁶ L'expérience algérienne en matière de délimitation des frontières terrestres, Article en ligne/ <http://www.dur.ac.uk/resources/ibru/conferences/thailand/algeria.pdf>

⁷ UNESCO, 1999: Des frontières en Afrique du XIIe au XXe Siècle, UNESCO-CISH, Bamako, p103.

بعد الاستقلال أعادة الجزائر توثيق معاهدات ترسيم الحدود مع جرائها الجنوبيين من بينهم دولة مالي التي وقعت معها بالجزائر في 8 ماي 1983 معاهدة لترسيم الحدود صدق عليها المرسوم رقم 09-83 المؤرخ 21 ماي 1983 في وثائق الأمم المتحدة¹، حيث يبلغ طول هذه الأخير 1329 كلم بـ 17 عمود إشارة. تعد هذه المعاهدة آخر اتفاقية بين البلدين لتثبيت خط الحدود بشكل رسمي في المواثيق الدولية.

2- الظروف والعوامل الداخلية والخارجية المستقطبة للتمدن في برج باجي مختار:

منذ فجر الاستقلال بدأت ملامح التمدن تظهر في عمق الصحراء الجزائرية بإن أدق، وخضع هذا التمدن لعدة عوامل داخلية وخارجية فكانت ديناميكية التنمية بالمناطق الحدودية أبرز عوامل الحركات السكانية نحو الجنوب، فيما ظل عدم الاستقرار السياسي بمالي والجفاف الكبير (1973-1984) أبرز عوامل لجوء قبائل الصحراء للحدود الجزائرية الجنوبية.

1-2- الجفاف الكبير والترقية الإدارية عوامل لحركات سكانية داخلية كثيفة:

خضعت المراكز العمرانية على الحدود الجزائرية-المالية لجملة من الترقيات الإدارية منذ 1984، جعلتها هذه الترقيات تستفيد من برامج التنمية المحلية وتستقطب الحركات السكانية الوافدة من الصحراء لتحسين ظروف الحياة بعد أزمة قحط الصحراء أو من المناطق الشمالية سعياً وراء الوظائف والأنشطة التجارية.

أ- الجفاف الكبير (1973-1984) وبداية ظهور تحضر برج باجي مختار:

مرت الصحراء بفترة جفاف قاسي على عوائل البدو الرحل (1973-1984) التي كانت تعيش على الحدود بين أقاليم الأهقار، أهنت، وتنزروفت (الجزائر) والأدغ، وحوض النيجر، وتودني (مالي)، والأير (النيجر)، واختارت هذه القبائل الاستقرار ببرج باجي مختار التي نالت حظاً من برامج التنمية المحلية وتنمية الجنوب منذ السبعينات، والمرفوقة بترقيتها إلى بلدية بعدما كانت تجمعة ثانوية تابعة لبلدية رقان قبل 1984². ويعتبر توفر

¹ PFUA (Programme Frontière de l'Union Africaine), 2014: *Délimitation et démarcation des frontières en Afrique* ; Le Guide de l'Utilisateur, CUA (Commission d'Union Africaine), Addis-Abeba, p85.

² لنصاري أحمد مختار، 2014: نفس المرجع السابق، ص.47.

غاز البوتان الذي تنقله الشركة الوطنية للنقل البري على مستوى برج باجي مختار¹ من أبرز مسببات استقطاب البدو الرحل بتنزوفت.

ب- الوظائف الإدارية والأنشطة التجارية سبب الحركات الشمالية-الجنوبية:

بعد جملة الترقيات الإدارية التي عرفت المناطق الصحراوية منذ السبعينات² شهدت برج باجي مختار توافد سكان مناطق الشمال ووسط الصحراء سعيا وراء المناصب الإدارية، ووظائف التعليم، وممارسة الأنشطة الخدمية والتجارية، وأعمال البناء عبر مختلف الورشات. سجلنا نسبة 26,90% للحالات التي وفدت من أجل العمل من مجموع 77 استمارة ضمن تحقيقات ميدانية قمنا بها على مستوى المدينة الحدودية، وأغلب هذه الحالات في ميدان التجارة، والخدمات، والإدارة، والتعليم.

2-2- عدم الاستقرار السياسي بدول الساحل أهم تأثير خارجي على برج باجي مختار:

شهدت مدينة برج باجي مختار منذ نشأتها ديناميكية حضرية متسارعة نتيجة زيادة استقرار قبائل التوارق والعرب، حيث شكّلت المنطقة الحدودية فضاء ملائم لتركز سكاني معتبر بعد تكاثف عمليات النزوح واللجوء، وأهم العوامل التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في هذا التمرکز:

أ- لجوء قبائل التوارق إلى الجزائر في 1963 و 1964 بعد الأزمة السياسية مع باماكو: لم تكن الحدود الجزائرية الجنوبية بعيدة عن الأحداث التي جرت في إقليم الأزواد بشمال مالي منذ إستقلال كل من مالي والجزائر عن فرنسا، فمنذ إستقلال مالي عن فرنسا ووضع سلطتها في يد سكان الجنوب شهدت الأقاليم الشمالية لها ثورات سنوات 1963 و 1964 تطالب بالإنفصال بسبب إختلاف الخصائص العرقية والاجتماعية بين شمال مالي وجنوبها³، بحيث كانت قبائل الشمال تنحاز للهوية المغاربية بحكم التاريخ وروابط الدم التي تربط قبائل التوارق والعرب بين شمال مالي والنيجر وجنوب ليبيا، الجزائر وموريتانيا⁴. واقتصرت هذه الفكرة على عوائل كبار الشخصيات التي كانت تكافح

¹ Bellil Rachid, 2008: *Mutation Touaregs*, SNRPAH, Alger-p148.

² Trache Sidi Mohammed, 2010: *Les caractéristiques de l'immigration à Adrar*, Abed Bendjelid, Villes d'Algérie, CRASC. Oran, pp139-155

³ Boilley Pierre, 1999: *les touaregs kel Adagh*, Karthala, paris, p321.

⁴ McDougall James, Judith Scheele, 2012: *Saharan frontiers space and mobility in northwest Africa*, Indiana university press, p18.

من أجل الانفصال من سكان الحواضر بتمبكتو، وغاو، وكيدال وقرى حوض النيجر والتي لجأ معظمها إلى الدول العربية (الجزائر، ليبيا، المغرب، موريتانيا والسعودية) بعد فشل مسعى الانفصال. أما السكان البدو والرحل فكانوا شبه منعزلين عن الوضع السياسي -إلا ما كان يأتهم عن طريق رؤساء القبائل- وذلك لكونهم سكان بوادي يعيشون على الرعي ولا يهتمون بحياة المدن والوحدات السياسية إلا بقضاء حوائجهم من أسواقها وقوافلها العابرة للصحراء.

ب- ثورات توارق الأزواد والأزواك ضد الحكومات بين 1990 و1993:

باستمرار تدهور الوضع التنموي لقبائل التوارق، والعرب في الصحراء الكبرى تجددت ثورات تمردهم في أقاليم الأزواد¹ والأزواك² على حكومتي مالي والنيجر في 1990 و1993³، ما أدى بزيادة توافد اللاجئين على الحدود الجنوبية للجزائر، هذا التوافد ألزم السلطات الجزائرية إقامة مخيمات في التجمعات العمرانية الحدودية لكبح نزوحهم نحو الشمال، وكان لبرج باجي مختار نصيب من الكم الهائل من اللاجئين الذين تم إوائهم في منطقة "تين توراوت" التي تبعد 50 كلم عن برج باجي مختار على الطريق الوطني رقم 6 نحو تيمياوين بالمحاذات مع خط الحدود الجزائري المالي.

هكذا زاد حجم تجمعة برج باجي مختار في ظل هذه الديناميكية السكانية لقبائل التوارق والعرب على الحدود بين الجزائر ومالي، نتيجة للأوضاع التي عايشوها منذ إستقلال البلدين، بحيث تشكل مجتمع حديث في برج باجي مختار بين التوارق والعرب النازحين من شمال مالي إضافة إلى القبائل التي تستوطن جنوب الجزائر في أهقار، وأهنت وسكان الواحات، و"وكان لقبائل الطوارق دور رياد في ضم أقارهم المتضررين من الأزمات التي مست شمال مالي والنيجر بحكم الروابط الاجتماعية والعرقية التي تجمعهم"⁴. هذا التحول الديمغرافي والإجتماعي جعل من برج باجي مختار تجمعة رئيسية لمختلف القبائل التي تستوطن المنطقة الحدودية قصد التزود بالمواد الغذائية، والرعاية الصحية وحتى التعليم حيث تم تسوية وضعية عدد معتبر من السكان المنسيين من

¹ الأزواد هو القسم الشمالي من مالي والذي يضم عدة أعراق من التوارق، العرب، الفولان

² الأزواك هو الإقليم الشمالي من النيجر.

³ Olivier Pliez.2002: *Vieux réseaux et nouvelles circulations entre les deux rives du Sahara*, Revue Méditerranée, tome 99, n°3.4, pp. 31-40. (p31).

⁴ Bensaad Ali, 2009: *Le Maghreb à l'épreuve des migrations subsahariennes*, Karthala, paris, p22.

البدو الرحل¹، وقامت السلطات الجزائرية في 1998 بتوفير مستلزمات ترحيل اللاجئين العالقين بالمدن والواحات نحو مناطقهم في دول الساحل الإفريقي بعد حلول السلم بين الحكومات والتوارق².

ج- أزمة جانفي 2012 وواقع لجوء المالمين إلى برج باجي مختار

بعد فترة الركود التي شهدها فكرة انفصال إقليم أزواد (شمال مالي) عن الحكومة المالية لمدة من الزمن، عادت من جديد بعد توحيد صفوف التوارق العائدين من معسكرات القذافي المتزامن مع الربيع العربي، فكان الوضع هذه المرة أكثر حدة على الحكومة المالية، التي عرفت انقلابا عسكريا ناتج عن فشلها في تسيير الأزمة ما استدعى تدخل فرنسا والقوات الإفريقية والأممية لحفظ السلام في المنطقة. ونتيجة لهذه الأزمة لجأ العديد من السكان المالية إلى الحدود الجزائرية المالية بحثا عن الأمن والمأوى، وسجلت المفوضية العليا للأمم المتحدة المتعلقة باللاجئين (HCR) في 01 أفريل 2013 دخول حوالي 1500 لاجئ بالحدود الجزائرية المالية بمقربة من برج باجي مختار في تيمياوين، بعدما منعت السلطات الجزائرية دخول حوالي 10000 لاجئ في 3 أفريل 2012، وذلك بعد قرار خلق الحدود بين البلدين في 14 جانفي 2012³. وتضاربت الاخبار في إحصائيات عدد اللاجئين الذين دخلوا التجمعة الحضرية برج باجي مختار، حيث تشير جريدة الشروق الجزائرية بدخول ما يقارب 500 لاجئ من مناطق غاو، أجلهوك، كيدال، تمبكتو، وتودني في أفريل 2012 هربا من المعارك الطاحنة بين الجيش المالي وحركات تحرير أزواد، بحيث تم إواء ما يقارب 70 منهم في مخيم نصب في الملعب البلدي لبرج باجي مختار، وتم إواء 120 عند أقاربهم عبر أحياء تجمعة برج باجي مختار، فيما تم إيواء البقية بمخيم تيمياوين⁴. وعاد أغلبهم من تلقاء نفسه بعدما وجد نفسه مشرد بلا عمل وبلا مأوى بينما ترك كل شيء ورائه، وتم ترحيل البقية بعدما استدب الهدوء

¹ بن يزار نجيب، 2013: *عصرنة تسيير الحالة المدنية*. مقال منشور عبر موقع وزارة العدل، <https://www.mjjustice.dz/html/conference/a020.htm>. زيارة الموقع 24/09/2017.

² Sbiga Sassia, 2005: *Aménageurs et migrants dans les villes du Grand Sud algérien*, Autrepart n°36, pp81-103.

³ OIM (Organisation Internationale pour les migrations), 2013: *la crise au mali sous l'angle de la migration*, OIM, Juin 2013, p12.

⁴ جريدة الشروق 2012: *نزوح 500 لاجئ مالي إلى ولاية أدرار هربا من المعارك الدامية*، بقلم عبد القادر كشناوي في 15/02/2012، طالعة على الرابط: <https://www.echoroukonline.com/ara/archive/2012/2/index.97.html>.

والصلح بين الأطراف المتنازعة بفضل حلقات الصلح التي نظمتها الحكومة الجزائرية بين الفرقاء الماليين¹.

د- برج باجي مختار معبر حدودي للهجرة غير الشرعية العابرة للصحراء نحو باقي الوطن:

وقوعها على الطريق الوطني رقم 6، الذي يقع على المحور شمال-جنوب العابر للصحراء (وهران-بشار-غاو) في الجهة الغربية للجزائر²، والذي يتميز بتدفق الهجرة الإفريقية العابرة للصحراء التي تعبر تجمعة برج باجي مختار نحو تمنراست أو نحو رقان، ثم التوغل داخل شبكة الطرق الوطنية. وتنطلق وفود المهاجرين من الأراضي المالية والنيجرية بعدما تتجمع في مدينتي إغدز (النيجر)، وغاو (مالي) وتتجه نحو الحدود الجزائرية³، وتعتبر تدفقات المهاجرين تجمعات تسليت، تلهندات، وإن خليل الحدودية على الأراضي المالية لتصل إلى برج باجي مختار. تتميز الهجرة الإفريقية العابرة للصحراء باختلافها عن حالات النزوح واللجوء التي تمارسها قبائل التوارق والعرب بأقاليم شمال مالي والنيجر نحو جنوب الجزائر، فالأولى تتشكل من عناصر ذات أصول من بلدان جنوب الصحراء وغرب إفريقيا تعبر الصحراء نحو الشمال بحثا عن العمل والعبور نحو أوروبا⁴. أما الثانية فتتشكل من قبائل التوارق، والعرب، التي تلجأ إلى الجزائر بحثاً عن الأمن والظروف المعيشية الحسنة فتستقر في المناطق الحدودية الجنوبية ضمن إقليم جغرافي اجتماعي وثقافي موحد بين جنوب الجزائر وأزواد⁵، وترافقهم في ذلك عناصر من قبائل البمبارة، والهوسا من المالي والنيجر التي تتميز بكثرة تنقلها بين الشمال والجنوب خلال مواسم معينة موزعة بين العمل في الجزائر وزيارة أهل بالبلدان الأصلية.

¹ يومية الرائد 2017: الجزائر تُنقِص الفرقاء الماليين بالحوار مع الحكومة. بقلم أكرم س في 2017/03/30 على الرابط: <http://elraaed.com/ara/watan/100012-.html>

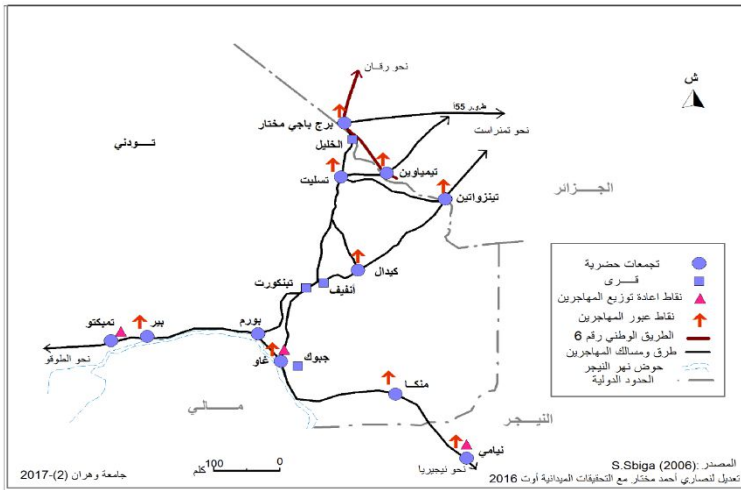
² Yousfi Badreddine 2012: *Dynamiques urbaines. Mobilités et transports dans le sud –ouest algérien (Wilayas d'ADRAR et de BECHAR)*, Thèse de doctorat en cotutelle en géographie et aménagement du territoire, Université d'Oran et université de Franche-Comté, France, p210.

³ Drozd Martine 2004: *Place marchandes, place migrantes*, mémoire de maîtrise de géographie, Université Lumière Lyon 2, p82.

⁴ Drozd Martine 2004: *Place marchandes, place migrantes*, mémoire de maîtrise de géographie, Université Lumière Lyon 2, p19.

⁵ McDougall James, Judith Scheele, 2012: *Saharan frontiers space and mobility in northwest Africa*, Indiana university press, p10.

خريطة 01: معابر الهجرة غير الشرعية بين شمال مالي والحدود الجزائرية المالية



3- مؤشرات الديناميكية الديمغرافية وتسارع النمو السكاني.

عرفت مدينة برج باجي مختار تسارعاً في مؤشرات الديناميكية الديمغرافية عبر التعدادات السكانية الوطنية، بحيث أنتقل عدد سكانها من 1206 نسمة في 1977¹ إلى 16593 نسمة في 2008²، وقدر بحوالي 22731 نسمة في 2015³. فيما شهد معدل النمو السكاني السنوي بها تذبذباً كبيراً بين الفترات الإحصائية الأربعة (1977، 1987، 1998، 2008) بـانتقاله من 10,58% في الفترة (1987-1977) إلى 12,24% في الفترة (1987-1998)، ويصل إلى 5,93% في الفترة (2008-1998)⁴. وهذه الديناميكية الديمغرافية ناتجة عن عدة مؤشرات ديمغرافية هي:

- الزيادة الطبيعية لسكان المدينة.
- الحركات السكانية الداخلية (الهجرات الداخلية من الشمال والوسط نحو الجنوب)⁵.

¹ ONS, 1992: collections statistiques ; Evolution des agglomérations 1966, 1977, 1987. N° 38, 06p.

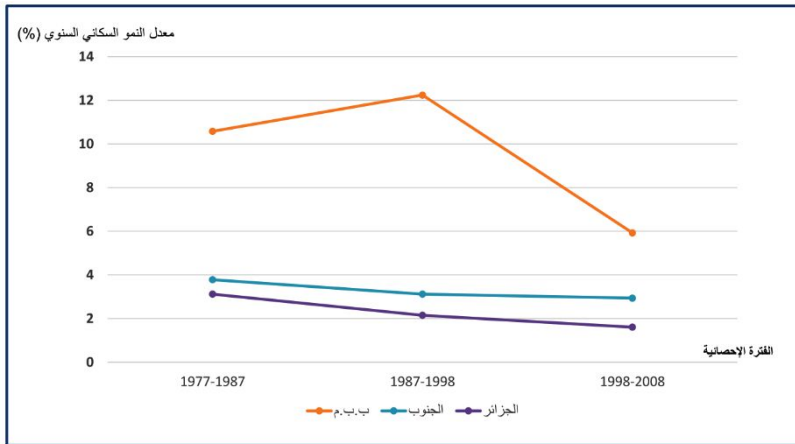
² ONS, 2011: Armature urbaine ; RGPH 2008, Collections Statistiques N° 163, Alger, ONS

³ Annuaire statistique 2015 de la wilaya d'Adrar, D.P.A.T, 13p.

⁴ لصاري أحمد مختار، 2014: المرجع السابق، ص20.

⁵ Yousfi Badreddine, 2012: *Dynamique urbaines. Mobilités et transports dans le sud –ouest algérien (Wilayas d'ADRAR et de BECHAR)*, Thèse de doctorat en cotutelle en géographie et aménagement du territoire, Université d'Oran et université de Franche-Comté, France, p336.

- استقرار البدو الرحل بالمطقة واللجوء بالنسبة لقبائل الصحراء الكبرى المتزامنة مع فترات الجفاف والظروف الأمنية بدول الساحل¹.
 - حركات الهجرة الإفريقية العابرة للصحراء وشمال افريقيا².
- الشكل 01: تطور معدل النمو السكاني السنوي لمدينة برج باجي مختار



4- مؤشرات الديناميكية العمرانية وبرامج التهيئة والتنمية.

بزيادة النمو السكاني لمدينة برج باجي مختار زادت ديناميكية التعمير، وزاد تحضر المركز الحدودي بأقصى الحدود الجنوبية الجزائرية. ومؤشرات الديناميكية العمرانية كانت نتيجة عدة مراحل من التوسعات الحضرية بالمدينة، حيث تزامنت هذه المراحل ببرامج التهيئة وتنمية المناطق الحدودية.

1-4- التوسعات العمرانية ببرج باجي مختار من برج حدودي إلى مدينة حدودية:

عرف النسيج العمراني بمدينة برج باجي مختار مراحل من التمدد العمراني بدأ بظهور النواة الأولية لمدينة إن أدق (برج باجي مختار)، حيث انقسمت هذه المرحلة الى فترتين الفترة الإستعمارية (1940-1962) تميزت ببناء المستعمر لبرجين لمراقبة حركة القوافل بين الأقاليم الجنوبية للبلاد وبلاد الساحل الإفريقي، وشيد أولهما (برج لوبغور) سنة 1940م عن طريق قائد فرقة المهارست الفرنسي في المنطقة والمدعو

¹ Kouzmine Yaël, 2012: *Le Sahara algérienne Intégration national et développement régional*, le Harmattan, paris, p40.

² Sbiga Sassia, 2005: *Aménageurs et migrants dans les villes du Grand Sud algérien*, Autrepart n°36, pp81-103.

Louis-Ambroise LE PRIEUR بمساعدة الجنود مستغلا موقع البئر التي كانت مكان لراحة وعبور القوافل التجارية¹. أما الثاني (برج بيرزي) فشيّد سنة 1959م وكان عبارة عن ثكنة عسكرية للمستعمر مجهز بكل وسائل الإتصال لتسهيل مراقبة عابري الطريق نحو الجنوب أو الشمال². وبعد الاستقلال (الفترة 1962-1972) قامت الدولة الجزائرية بتأمين المنطقة وأنشأت ثكنة عسكرية بعدما أخذ الموقع إسم برج باجي مختار عوض برج لوبغيور.

بعد ذلك بدأ البدو الرحل يتوافدون من الصحاري المجاورة تزامنا مع الجفاف الحاد وتزامنا مع بداية انطلاق برامج التنمية المحلية، فبدت مظاهر التحضر على المركز العمراني لبرج باجي مختار. وأصبحت المنطقة منطقة التبادل التجاري بين الجزائر ودول الساحل، ما جعلها تستقطب الأنشطة التجارية والخدماتية، فكانت المساحة المعمّرة بها آنذاك (1990) تقدر بـ 8,45 كلم² (PDAU)³، فكانت هذه المساحة بمثابة النواة المهمة لتوسع المدينة نحو كل الإتجاهات⁴.

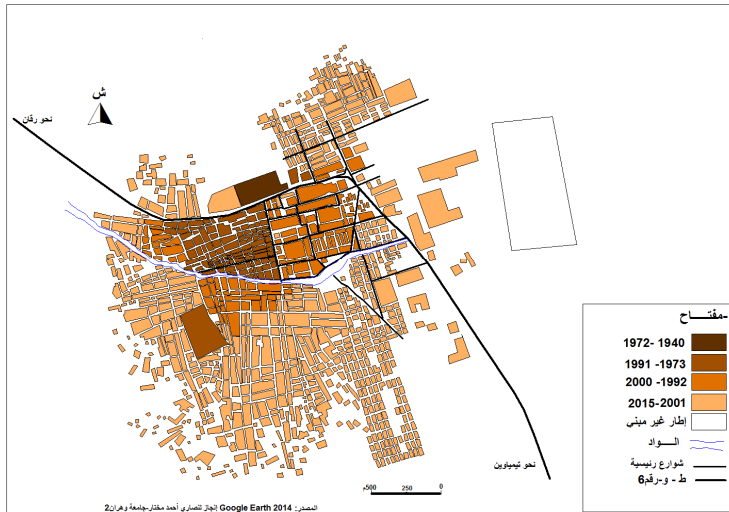
¹ لنصاري أحمد مختار، 2014: نفس المرجع السابق، ص 12.

² LE PRIEUR Louis, 1940: *Le Bordj le PRIEUR*, la revue du SAHRA n° 36. Paris 3e Trimestre 1964. p56.

³ Réversion final de PDAU de la commun de Bordj Badji Mokhtar. Société des travaux d'ingénierie d'architectures et d'urbanisme-TRIAU Omrane, Adrar 2010.

⁴ لنصاري أحمد مختار، 2014: نفس المرجع السابق، ص 47.

ثم أخذ شكل المدينة الحضرية في الظهور عبر تركز مختلف الأنشطة التجارية والخدمات بمركزها، وزادت رقعة التجهيزات والمرافق العمومية بالجهة الشرقية الخريطة رقم 02: مراحل تطور النسيج العمراني لمدينة برج باجي مختار



للمدينة، الشيء الذي خلق نوع من الديناميكية الحضرية للمدينة من خلال مؤشرات التركيز السكاني والتجهيز، وبلغت المساحة المعمرة للمدينة في 2000 حوالي 17,79 كلم². وبعد ذلك زادت تمدد كثافة النسيج العمراني للمدينة من خلال برامج السكن الإجتماعي (OPGI)¹ والريفي، وبلغت المساحة المعمرة في 2017 حوالي 25 كلم² (DUAC).

2-4- مؤشرات استخدامات الأرض: وظيفة سكنية وأنشطة تجارية خدماتية:

إن سرعة وتيرة الاستقرار ببرج باجي مختار جعلها تتحول من قرية بدوية رعوية إلى مدينة بمؤشرات حضرية، فزاد حجم حظيرة السكن بها كما زاد نطاق المرافق العمومية والخدمات. بلغت نسبة الوظيفة السكنية خلال دراستنا الميدانية (280 استمارة) 71,5%، وبلغت نسبة المرافق والخدمات 9%. وتشكل التجارة أهم الأنشطة على مستوى المدينة الحدودية، إذ أحصينا ما يقارب 704 محل مرخص على مستوى وسط المدينة.

¹ - OPGI Adrar, 2017: Etat du patrimoine de la Daïra du B-B-M.



الخريطة رقم 03: توزيع الأنشطة التجارية والخدمات في مدينة برج باجي مختار

3-4 مؤشر التركيب العمراني: تنامي النسيج العصري في وسط شبه حضري:

يتميز النسيج العمراني لبرج باجي مختار بهيمنة برامج السكن من صيغة السكن الريفي، وتظهر باقي الصيغ بنسب ضعيفة (السكن الاجتماعي، السكن الوظيفي)، حيث ظهرت مؤخراً أحياء جديدة من السكن الريفي أهمها حي 825 مسكن ريفي بجنوب شرق المدينة. ومن حيث النمط العمراني نجد نسيج المدينة ذو طابع تقليدي هش بنسبة 51,5%، يتواجد هذا النمط بالنسيج العتيق لوسط المدينة والأحياء الفوضوية المنتشرة على حواف المدينة الجنوبية الغربية والشمالية. أما النسيج العصري (الحديث) فيظهر بالتوسعات الجديدة للمدينة في الناحية الشرقية أغلبه برامج سكنية وتجهيزات بنسبة 46,20%.

5- جهود الدولة في تعزيز العلاقة بين السكان المحليين والحكومة من خلال التحسيس والتشاور.

عملت الدولة منذ الاستقلال على ترقية أقاليم التراب الوطني من خلال جملة الترقيات الإدارية (1963، 1975، 1985)¹، وكان للأقاليم الحدودية الجنوبية نصيبها من هذه الترقيات في 1985. كما قامت بسن رهانات تنمية المناطق الحدودية في الخطة الوطنية لتهيئة الإقليم في 2010، بحيث حملت هذه الخطة رهان زيادة تعزيز الثقة بين السكان المحليين والسلطة بالمناطق الحدودية². أبرز جهود الدولة في هذا السياق على مستوى مدينة برج باجي مختار تمثلت في تكثيف التشاور مع المجتمع المدني الحضري بالمدينة عن طريق إنشاء جمعيات شبانية، ثقافية، إجتماعية واقتصادية بهدف ترقية الوطنية بأقصى الجنوب الغربي وزيادة التحسيس بدور الأمن الاجتماعي في دفع وتيرة التنمية المستدامة ببرج باجي مختار. من بين المشاريع التحسيسية التي أطلقتها الدولة يعتبر مشروع حزام الأمن الاجتماعي أبرز التحديات التي رفعتها الدولة لمكافحة المظاهر غير الشرعية العابرة للحدود، وذلك بإشراك المجتمع المدني في تأمين الشريط الحدودي ببرج باجي مختار.

- الخاتمة:

مرّت المناطق الحدودية بأقصى الجنوب الجزائري بعدة مراحل تاريخية، بدأت بترسيم الحدود مع جيران الجزائر الشماليين (الدول المغاربية) والشماليين (دول الساحل الإفريقي)، بحيث وُثقت معاهدات ترسيم الحدود مع هذه الأخيرة نهائياً سنة 1983. كما عرفت الأقاليم الجنوبية جملة من الترقيات الإدارية بعد الاستقلال لبطء التنمية على كافة التراب الوطني، فشهدت المناطق الحدودية ديناميكية معتبرة تزامنا مع برامج التنمية المحلية. هذه الديناميكية التنموية زادت من عملية استقرار السكان بالمعبر الحدودي برج باجي مختار الذي أضفى مركزاً عمرانياً حضرياً، إذ زاد عدد سكانه من 1206 نسمة في 1977 إلى حوالي 22731 نسمة في 2015. رافق هذا النمو الديمغرافي نمو عمراني معتبر منذ ترقية برج باجي مختار إلى مقر دائرة في 1985، بحيث وصلت مساحة

¹ - Bendjelid A., Brûlé J.-C., Fontaine J., 2004: *Aménageurs et aménagés en Algérie*, Paris, L'Harmattan, 52 p.

² الجمهورية الجزائرية الديمقراطية، القانون رقم 02-10 المؤرخ 29 جوان 2010 يتضمن المخطط الوطني للتهيئة القطرية. صادر في 21 أكتوبر 2010، الجريدة الرسمية، العدد 61.

الإطار العمراني بها حوالي 25 كلم²، وأغلب هذه المساحة ذات استخدام سكني وخدماتي، ويمتاز نسيجها الحضري بنمط تقليدي بوسط المدينة ونسيجها القديم الهش، فيما تمتاز الأحياء الجديدة بالنمط العصري. وتعمل مخططات التهيئة والتنمية على تعزيز العلاقة بين المجتمع المدني والدولة عبر البرامج التنموية، وعبر جلسات التشاور والتحسيس التي تهدف إلى إشراك السكان المحليين في تأمين الحدود وتنميتها بشريا واقتصاديا.

قائمة المراجع:

1. بن يزار نجيب 2013: عصنة تسيير الحالة المدنية، مقال منشور عبر موقع وزارة العدل، <https://www.mjustice.dz/html/conference/a020.htm>, زيارة الموقع 2017/09/24.
2. جريدة الشروق 2012: نزوح 500 لاجئ مالي إلى ولاية أدرار هربا من المعارك الدامية، بقلم عبد القادر كشناوي في 2012/02/15، طالعة على الرابط: <https://www.echoroukonline.com/ara/archive/2012/2/index.97.html>.
3. لنصاري أحمد مختار 2014: الديناميكية الحضرية لمدينة حدودية حالة برج باجي مختار ولاية أدرار، ماستر في الجغرافيا جامعة وهران. ص. 28.
4. ماهر حمدي عيش، 2005: الجغرافية السياسية، دار الوثائق، شبين الكوم، مصر، ص 87.
5. يومية الرائد 2017: الجزائر تُقنع الفراء الماليين بالحوار مع الحكومة، بقلم أكرام س في 2017/03/30 على الرابط: <http://elraaed.com/ara/watan/100012-.html>
6. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية، القانون رقم 10-02 المؤرخ 29 جوان 2010 يتضمن المخطط الوطني للتهيئة القطرية، صادر في 21 أكتوبر 2010، الجريدة الرسمية، العدد 61.
7. Bellil R, 2008: *Mutation Touaregs*, SNRPAH, Alger-p148.
8. Bendjelid A., Brûlé J.-C., Fontaine J. ,2004: *Aménageurs et aménagés en Algérie*, Paris, L'Harmattan, 52 p.
9. Bensaad A, 2009: *Le Maghreb à l'épreuve des migrations subsahariennes*, Karthala, paris, p22.
10. Bisson J, 2003: *Le Sahara ; mythes et réalités d'un désert convoité*, L'Harmattan. Paris, p342.
11. Boilley P, 1999: *les touaregs kel Adagh*, Karthala, paris, p321.
12. Cornevin Robert, 1981: *Questions nationales et frontières coloniales*, Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 68, n°250-253, Etat et société en Afrique Noire. pp. 251-262.
13. Cote M., 2012: *Signatures sahariennes, Territoire vue du ciel*, PUP-Aix-Marseille Université, p41.
14. Dayak M, 1992: *Touareg la tragédie*, Jean-Claude Lattès, p35.
15. Dida B, 2010: *Les relations des Touaregs aux Etats*, IFRI, France, p5.
16. Drozd M, 2004: *Place marchandes, place migrantes, mémoire de maitrise de géographie*, Université Lumière Lyon 2, p82.
17. Kouzmine Y et al, 2009: *Étapes de la structuration d'un désert* ; l'espace saharien algérien entre convoitises économiques, projets politiques et aménagement du territoire, Annales de géographie, n° 670, p. 659-685.

18. Kouzmine Y, 2012: *Le Sahara algérienne Intégration national et développement régional*, le Harmattan, paris, p40.
19. LE PRIEURE Louis, 1940: *Le Bordj le PRIEURE*, la revue du SAHRA n° 36. Paris 3e Trimestre 1964. p56.
20. - *L'expérience algérienne en matière de délimitation des frontières terrestres*, Article en ligne/ <http://www.dur.ac.uk/resources/ibru/conferences/thailand/algeria.pdf>
21. Mcdougall J, Scheele J, 2012: *Saharan frontiers space and mobility in northwest Africa*, Indiana university press, p18.
22. Pliez O, 2002: *Vieux réseaux et nouvelles circulations entre les deux rives du Sahara*, Revue Méditerranée, tome 99, n°3.4, pp. 31-40.
23. Sbiga S, 2005: *Aménageurs et migrants dans les villes du Grand Sud algérien*, Autrepart n°36, pp81-103.
24. Scheele J, 2012: *Smugglers and Saints of the Sahara, Regional connectivity in the twentieth century*, Cambridge university press, p9.
25. Trache S.M, 2010: *Les caractéristiques de l'immigration à Adrar*, Abed Bendjelid, Villes d'Algérie, CRASC. Oran, pp139-155.
26. Yousfi B, 2012: *Dynamique urbaines. Mobilités et transports dans le sud –ouest algérien (Wilayas d'ADRAR et de BECHAR)*, Thèse de doctorat en cotutelle en géographie et aménagement du territoire, Université d'Oran et université de Franche-Comté, France, p336.
27. OIM (Organisation International pour les migrations) ,2013: *la crise au mali sous l'angle de la migration*, OIM, Juin 2013, p12.
28. ONS, 1992: *collections statistiques* ; Evolution des agglomérations 1966, 1977, 1987. N° 38, 06p.
29. ONS, 2011: *Armature urbaine* ; RGPH 2008, Collections Statistiques N° 163, Alger, ONS.
30. PFUA (Programme Frontière de l'Union Africaine), 2014: *Délimitation et démarcation des frontières en Afrique* ; Le Guide de l'Utilisateur, CUA (Commission d'Union Africaine), Addis-Abeba, p85
31. Réversion final de PDAU de la commun de Bordj Badji Mokhtar. Société des travaux d'ingénierie d'architectures et d'urbanisme-TRIAU Omrane, Adrar 2010.
32. UNESCO, 1999: *Des frontières en Afrique du XIIIe au XXe Siècle*, UNESCO-CISH, Bamako, p103.
33. Annuaire statistique 2015 de la wilaya d'Adrar,D.P.A.T, 13p
34. OPGI Adrar, 2017: Etat du patrimoine de la Daïra du B-B-M.